

على ذكر الحرب الأهلية في اسبانيا

نهضة العلوم الطبية

في اسبانيا العربية وتأثيرها في أوروبا

للدكتور زكي على

من بين الكتب التي ظهرت أخيراً عن الحرب الأهلية المروعة القائمة في اسبانيا الآن كتاب « الثورة في اسبانيا » قال فيه مؤلفاه هاري جانس وتيودور رابارد في معرض الكلام عن ماضي اسبانيا : « إن طرد العرب من اسبانيا كان كارثة على مدينتها وقد كان الباعث عليه التعصب للروح الاقطاعية السائدة في أوروبا والرغبة في تفويض دعائم الثقافة العربية وتأثيرها »

وقد أعادت الحرب الحاضرة في أسبانيا ذكريات تاريخها الماضي وكيف كان عهد العرب أزهى عصورها ، وكثيراً ما أشارت صحف أوروبا إلى ذلك الماضي إما بالمقالات أو بالصور . وأذكر أنني رأيت صورتين رمزيّتين تبعثان في النفس مزيد الاعتبار لإحداهما في صحيفة أمريكية تمثل « عودة العرب » والآخرى على غلاف مجلة سويسرية مصورة تمثل « العرب على أبواب مدريد » . إشارة إلى انتظام فرق من عرب المغرب الاسباني في سلك جيش الجنرال فرانكو لفتح اسبانيا ، ولكن شتان بين الفتحين . وما أعظم الفرق بين المهدين . ولست بصدد الكلام عن تاريخ الفتوحات والحروب وإنما أحببت اتخاذ الأحوال الحاضرة وسيلة للتذكير بما كانت عليه أسبانيا من النهضة على عهد العرب قاصراً الكلام على العلوم الطبية وما كان لها من تأثير وتفوذ في الحركة الفكرية في أوروبا في ذلك الحين وهي التي صارت أساس نهضتها فيما بعد .

كان لائق نجم الثقافة العربية في سماء اسبانيا على أثر الفتح الاسلامي أعظم الأثر في نهضة العلوم الطبية لا في اسبانيا وحدها بل في أوروبا باجمعها . وكان لما أولاه الخلفاء العلوم والفنون من العناية والتشجيع فضل كبير في ازدهار الحركة الفكرية والنشاط العقلي وانبعاث أضواء الحضارة العربية لتسرى في سائر أنحاء أوروبا ، وسرعان ما أصبحت اسبانيا أسطع درة في سلسلة الثقافة العربية الممتدة من ربيع الهند إلى أقصى غرب أوروبا ، وعن طريق هذه

الحلقات المتصلة من مدينة الاسلام تدقت الكنوز الضخمة من علوم الاقدمين التي كانت نسباً منسياً قبل أن يبعثها العرب ويضيفوا إليها كنوزاً غنية جديدة . بفضل عبقريتهم وأثر الاسلام في حشهم على البحث وحشهم على الكشف والدرس والتحصيل وما أتى القرن العاشر لليلاد حتى كان العرب قد أحضروا إلى أسبانيا مجموعة ضخمة من التأليف العلمية والطبية الاغريقية والعربية ، ووضعوا بذلك أساس الحركة الفكرية التي دامت في عصرها الذهبي من القرن العاشر ، إلى الثالث عشر ، وجعلت اسبانيا في ذلك الحين ، المركز الوحيد الذي يشع على أوروبا النور والعرفان ، والذي سرت منه الثقافة العربية ، حتى صارت ملبوسة الأثر في سائر أنحاء الغرب ونبغ في هذه الحركة طائفة كبيرة من علماء العرب وشخصياتهم الطبية البارزة ، وكان لأعمالهم وثوباليفهم أثر مباشر في نهضة العلوم الطبية لاسبانيا الخلفاء أكثرها من تشييد المستشفيات ، وكانوا يلحقون بها المدارس الطبية ومدارس الصيدلة والمكاتب العلمية .

وقبل أن نخص بالذكر هنا أشهر البارزين في هذه النهضة نشير إلى مايدل على مبلغ حضارة أسبانيا وازدهارها تحت حكم العرب ، فنذكر أنه في القرن العاشر بلغ عدد سكان قرطبة أكثر من ثلاثمائة ألف ، وكان بها خمسون مستشفى وتسعمائة حمام وثمانمائة مدرسة وستائة مسجد ومكتبة ضخمة تحوى ستائة ألف مجلد وسبعون مكتبة خاصة . وإذا ما أشرنا في هذا المقام إلى جامع قرطبة الشهير ، الذي يعتبر من ايات الفن - لا في العصر الاسلامي وحده بل في كل العصور - فإننا نذكر الكلمة الشهيرة التي وجهها شارل الخامس سنة ١٥٢٦ إلى مجلس الكاتدرائية الكاثوليكية تويخا لهم على تشييد الكنيسة في قلب الجامع العظيم ، إذ قال لهم : « قد بنيت هنا ما تستطيعون ، وكل واحد سواكم - بناءه في جهة أخرى ولكم خربتم ما كان فريداً في العالم كله »

وفي صدد الحضارة العربية أيضاً يقول الطبيب المؤرخ الامريكي فكتور روبنسن صاحب « قصة الطب » : « كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضئها المصابيح العامة ، كانت أوروبا فقيرة ، بينما قرطبة شيدت ألف حمام ؛ كانت أوروبا تنفطها الموام بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة ؛ كانت أوروبا غارقة في الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع ؛ كانت سقوف القصور في أوروبا مملوءة بنقوب المداخن ، بينما قصور قرطبة تزينا الزخرفة العربية العجيبة ؛ كان أشرف أوروبا لا يستطيعون إمضاء أسماهم بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس ؛ كان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة

الفم ، وأول من ربط الشرايين قبل امبرواز باريه الفرنسى . وقد وصف عمليات تفتت حصاة المثانة وعملية استخراجها بالشق ، وتكلم عن مسألة التقيح ووصف الوضع المعروف باسم « وضع الحز » ، فى التوليد ، والشلل عقب كسر السلسلة الفقرية ، وتكلم بدقة عن إزالة الأجسام الغريبة من الأذن ، وأجرى عملية فتح قبة الرئة Trachéo tomie ، وعالج الخراجات الكبيرة - بشقها وتفرغها تدريجياً ، واستعمل محلول الملح فى علاج الجروح ، ووصف علاج الناسور بالكي . وهو أول من استعمل « السنارة » فى استخراج الورم المسمى « يوليوس » ، وتكلم فى موضوع الولادة عن بحى الجنين فى الأوضاع غير المنتظمة ، وعن التوليد بالآلات . وهو أول من أدخل استعمال الحرير وأوتار العود بهيئة خيوط للربط فى العمليات الجراحية ، وتكلم أيضاً عن وقف النزف بالكي ، وقد بقى كتاب أبى القاسم فى « الجراحة » ، أساس التعليم الجراحى ومزاولة مهنة الجراحة فى أوروبا عدة قرون ، ونشرت ترجمته فى فينا سنة ١٤٩٧ ؛ وفى سنة ١٥٠٠ كان المعمول عليه فى تعليم الجراحة فى مدرسة البندقية بإيطاليا ، وطبع أيضاً فى « بال » ، بسويسرا سنة ١٥٤١ . وأما أشهر أطباء العرب الاكلينكيين فى الأندلس فهو محمد بن مروان بن زهر الاشيلى وعرف فى أوروبا باسم Avenzoar . (توفى سنة ١١٦٢) وهو ينحدر من عائلة عربية عريقة أنجبت كثيراً من الأطباء وذاعت شهرته الطبية فى جميع الاتجاهات . وهو أول من تآزر على طريقة جالينوس وابتكر طرقاً جديدة تدل على عبقريته ؛ وأهم كتبه « التيسير » ، وفيه وصف شامل لأمراض عديدة . وكان ابن زهر أول من وصف التهاب التامور المصلى وخراج المنصف الصدرى وشلل البلعوم والتهاب الأذن الوسطى . ووصف لبن الماعز فى الدرن ، ويعتبر أيضاً أول عالم بالطبقيات لأنه أول من أتقن وصف حيوان الجرب .

وأما أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد (Averroes) القرطبي (١١٢٦ - ١١٩٨) الطبيب الفيلسوف العظيم فع أنه بلغ ذروة الشهرة كفيلسوف الاسلام وشارح أرسطو فقد كان له أيضاً فضل لا ينكر فى تقدم العلوم الطبية ؛ وهو الذى هن بناء التعاليم الجالينية من أساسها ، وزعزع نظرية صفة الادوية الكثيرة Polypharmacie فى التذاكر الطبية ، وهو أول من أشار إشارة علمية إلى الدورة الدموية فى كتابه « الكليات » ، فسبق بذلك وليم هارفى . ومن أعظم الشخصيات الأندلسية فى القرن الثانى عشر الفيلسوف الطبيب الاسرائيلى موسى بن ميمون (Maimonides) الذى صار فيما بعد طبيباً خاصاً لمسلطان صلاح الدين ، وله مؤلفات

قد أسسوا مكتبة تضارع فى ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة . والآن نعود لنذكرين متقدسى المشاهير فى النهضة الطبية ابن الوافد الذى اشتهر فى أوروبا باسم Abru Gue Fil (٩٩٧ - ١٠٧٤) وكان طبيباً بمستشفى طليطلة وامتاز بأنه وضع أساس طريقة عقلية للعلاج مرتكزة على النظم الغذائية . وكان أشهر مؤلفاته كتاب الادوية البسيطة De Medicamentis Simpizicibus طبع هذا الكتاب بعد ترجمته إلى اللاتينية أكثر من خمسين مرة . ثم هناك أبرز شخصية فى النهضة الطبية العربية وفخر الجراحة العربية أبو القاسم خاف بن عباس الزهراوى الذى عرفته أوروبا باسم Albucasis (١٠١٣ - ١١٠٦) وإليه يرجع الفضل فى النهوض بمهنة الجراحة إلى المركز اللائق بها وكانت قبله قد انحطت إلى الحضيض ولكن سرعان ما بلغت الجراحة على يد أبى القاسم الزهراوى أعلى مراتبها فى ذلك العصر فانه ألف فى الطب النظرى والعملى كتابه الشهير « التصريف لمن عجز عن التأليف » ، وبه قسم خاص بالجراحة يقع فى ثلاثة كتب استوفى فيها أبو القاسم علوم الجراحة وعملياتها وبين آلياتها بالصور فكان تأليفه هذا أول كتاب موضح بالصور والأشكال فى الجراحة . ولا أجد فى هذا المقام قولاً أدل على مكانة الزهراوى من قول الأستاذ الشهير فورج Forgue من أعظم الجراحين الفرنسيين فى الوقت الحاضر إذ كتب عنه منذ سنوات : « يعتبر الزهراوى بلا شك أعظم شخصية فى الجراحة العربية ، وهو الحجة التى كان يلجأ إليها كافة مؤلفي الجراحة فى العصور الوسطى مع أعظم الاحترام . وقد ولد فى الزهراء (من ضواحي قرطبة) التى كانت فرساي خلفاء بنى أمية فى الأندلس . ويستحق كتابه فى « الجراحة » أن يبقى فى تاريخنا كأول تأليف فى الجراحة على أنها علم مستقل مؤسس على قواعد التشريح . وصار كتابه فيما بعد مرشد الجراحين منذ ترجمه إلى اللاتينية حوالى وسط القرن الثانى عشر جبراردى كرىمونا . وما يبرهن على أن الزهراوى كان الثقة والعمدة فى الجراحة والمشار إليه فى علومها أن سلفنا العظيم جى دى شوليك جراح مونبليه استشهد بأبى القاسم فى مؤلفاته نحو مائتى مرة !

« ولا مرأى فى أن الجراحة العربية فى ذلك الحين تقدمت تقدماً عظيماً فى الغرب . وبكى أن نذكر أنه فى أواخر القرن الثالث عشر لما قدم الجراح لا تفرانك من إيطاليا ودرس مؤلفات أبى القاسم أصدر رأيه فى جراحى باريس لذلك العهد بقوله : « يقومون بالعمليات الجراحية مع درجة من الجهل يكاد لا يوجد معها شخص واحد منهم يمكن أن يعد جراحاً حقيقياً ! » وقد كان أبو القاسم أول من كتب فى علاج الأقواس الضرسية (ن طب الأسنان) وتشوهات

عديدة في الفلسفة والطب ترجمت من العربية إلى اللاتينية ومنها كتابه في السموم والتحرز من الأدوية القتالة، وكتاب البواسير، (وترى هنا صفحة من هذا الكتاب الأخير عن نسخة خطية نقلت عن الأصل الذي كتبه ابن ميمون يده) وكتاب الوصايا، في التغذية وقانون الصحة وبيان الأعراض، ومقالة في الربو، الخ

الآن (Droguerie) لبيع العقاقير البسيطة بحسب تعريفه محددة وبين الصيدليات (الأجزاء) (Pharmacie) (لصرف العقاقير المركبة والنذاكر الطبية وكانت كلها موضوعة تحت الرقابة الشديدة بمقتضى القانون. وقد أدخل فردريك الثاني هذا النظام إلى أوروبا وأصدر سنة ١٢٣٣ قانوناً بقي نافذ المفعول زماناً طويلاً في صقلية، كان يكلف الطبيب بمقتضاه أن يبلغ عن أى صيدلاني (صيدلي) يثبت له أنه يبيع أدوية فاسدة

وقد أخذت أوروبا عن العرب استعمال كثير من الأدوية الجديدة ذات المفعول اللطيف والتي أدخلها العرب في المادة الطبية للعلاج مثل السنا المكي والراوند والتمر الهندي والمسك والقشبة Cassia والمسك والكافور وجوز الطيب والقرنفل والزعفران والشمز وعرق السوس. وعن العرب أيضاً أخذت أوروبا طريقة طلاء جيوب الأدوية بالورق المذهب أو المفضض وتقطير ماء الورد، كما أن أوروبا مدينة للعرب بإدخال الجوز المقيم في القرن الحادي عشر والأكونيت (خائق الذئب) وشرح تأثير الإرجوت (الجويدار) والحفظل والقنب الهندي والعنبر. وكان دستور الأدوية (الفارما كوتيا) الإسلامية في إسبانيا يحتوي على أكثر من مائتي نبات جديد لم تعرفها أوروبا من قبل. ولا يزال كثير من الكائنات العربية الأصل مستعملة في الصيدلة إلى اليوم منها الكحول والشراب والقلوي Alkali والنفط Naphtha والبازهر (بنزهر) be zoar والجلاب jalap.

ويمتاز ذلك العصر بازدهار فن الصيدلة أيضاً وظهور التوليف الجديدة فيه. واسم ابن البيطار أشهر من أن يذكر، وقد ولد أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار في مالقة، وصار أواخر زمانه في علم النبات وأتقن دراية كتاب « ديسكوريدس » الاغريقي اتقاناً بالغاً وكان حجة لا يبارى في علوم الأدوية المفردة والحشائش، وأهم كتبه « الجامع في الأدوية المفردة » وهو فريد في ما به إذ يشمل على وصف دقيق لأكثر من ألف وأربعمائة عقار كان جزء كبير منها جديداً في ذلك الوقت، وصار هذا الكتاب في الواقع المرجع الأساسي في أوروبا للمادة الطبية وعلوم الأغذية.

أما كتب الأدوية المركبة فكانت تسمى الاقرباذين (مأخوذة عن اليونانية) وهو اسم حرف فيما بعد في المحفوظات اللاتينية

ثم كان من مفاخر المدينة الإسلامية إنشاء المستشفيات في معظم المدن الكبيرة مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليطلة وبلنسية ومرسية والمرية ومالقة وغيرها، وكان نظام هذه المستشفيات وإدارتها وتجهيزها تجهيزاً وافياً على نسق لم تعرفه أوروبا في ذلك العهد. وفضلاً عن أن هذه المستشفيات كانت مراكز لعلاج الأمراض فقد كانت أيضاً معاهد للتعليم الأكليكي وأكاديميات للمعارف الطبية، وكانت مجهزة بمكتاب طبية نفيسة. ويعزى إلى العرب أيضاً الفضل الأول في إيجاد المستشفيات الخاصة بحدوى الأمراض العقلية ومن أهم تلك المستشفيات ما أنشأوه في بلنسية، وقد شهد جميع مؤرخي الطب بأن العرب فخر معاملتهم هؤلاء المرضى بالرفق والشفقة والإنسانية بينما كان « المجانين » في أوروبا يعاملون إذ ذاك كالمجرمين يهذبون

العربية، وكانت جهود هؤلاء الثلاثة بمثابة أول أثر للعلوم العربية في إنجلترا ثم لم ينقض بعد ذلك وقت طويل حتى امتاز أديلارد أوف بات بكونه أول عالم أوربي كبير حضر إلى طليطلة للتخصص في العلوم العربية، فاتصلت بذلك الحلقة الثقافية بين اسبانيا العربية وإنجلترا. ومن ثم ازداد اهتمام العلماء في إنجلترا بعلوم العرب وتفوق من بينهم ميشيل سكوت (١١٧٥ - ١٢٣٢) وروجر باكون (١٢١٤ - ١٢٩٤)

فأما سكوت فكان طيباً وفيلسوفاً ومتضلعا في العربية، وبعد أن درس في أكسفورد وباريس انتقل إلى بالرمو وبولونيا بإيطاليا، ومن هناك واصل سفره في طلب العلم إلى طليطلة ليرى ظمأه من ينابيع حكمة العرب وعلومهم وفلسفتهم، واشتهر فيما بعد بتأليفه الكثيرة في الكيمياء والفلك والطب وكان أكثر اعتماداً على المصادر العربية. وأما روجر باكون فقد اشتهر في أكسفورد بكونه شارح الفيلسفة العربية والارسطوطية وألف في علم البصريات كتاباً نقل فيه عن كتب الخازن، وهناك في مكتبة مجلس كاتدرائية كاتنبوري نسخة خطية مزخرفة من أواخر القرن الثالث عشر تسمى *Vetus togica* هي أقدم تفسير معروف لكتاب ارسطو في المنطق ظهر في إنجلترا على أثر إحياء العرب لفيلسفة ارسطو، وهي تحمل اسم جون دي لندن الذي أخذ عن روجر باكون العلوم العربية.

ويرجع إلى العرب أيضاً فضل المحافظة على تراث الطب الاغريق القديم وهناك حقيقة ذات أهمية قصوى في هذا الصدد وهي أن سبعة كتب من «تشریح جالينوس»، وصلت أوروبا عن طريق ترجمتها العربية أما أصولها الاغريقية فكانت قد فقدت.

وكان أشهر المترجمين للعلوم الطبية من العربية إلى اللاتينية «جيرار دي كريمونا» ١١١٤ - ١١٨٧ الذي اشتغل في مدرسة طليطلة معظم حياته وأتم في العشرين السنة الأخيرة منها ثمانين ترجمة بعضها في غاية الأهمية، ومنها كتاب الجراحة لابي القاسم الزمراوى وقانون ابن سينا، وكتاب المنصوري للرازي، وبعض أجزاء «الحاوى»، ومن أعظم المترجمين والمفكرين من الاوروبيين في العصور الوسطى جريرت دي أوريلاك (٩٣٠ - ١٠٠٣) الذي صار فيما بعد البابا سلفستر الثاني فإنه عبر جبال البرانس وأتى إلى طليطلة لتحصيل علوم المسلمين ونقلها إلى أوروبا القوطية، ثم إنه عاد إلى فرنسا وأذاع علوم العرب في مدينة (ريمس) ثم نقل تلك العلوم إلى أنحاء فرنسا وألمانيا وإيطاليا، ويعتبر أحد واضعي أساس النهضة العلمية والأدبية والدينية في أوروبا في القرن الحادى عشر ويقال إنه الذى أدخل إلى أوروبا الأرقام العربية.

ومن بين مشاهير الذين حضروا من إنجلترا إلى طليطلة روبرت

ويضطهدون. وقد أعاد جوان جيلبرت جوفريه بناء مستشفى بلنسية للأمراض العقلية عام ١٤١٠

كذلك لما أراد قليب الثانى عام ١٥٦٦ أن يعيد تنظيم المستشفيات في جريط (مدريد) أقام على أنقاض معهد سان لازاروا (وكان في الأصل مستشفى أسسه المسلمون) مستشفى جديداً باسم سان جوان دي ديوس، وضم إليه مستشفى دى لا باز للأمراض المعدية ولذوى العاهات.

وقد أظهر أطباء العرب في اسبانيا في فهم الأوبئة والعدوى مقدرة وذكاء منقطعى النظر بين كافة أطباء أوروبا في العصر القديم والعصور الوسطى، يدلك على ذلك أنهم بحثوا منشأ الأوبئة وانتشارها بالعدوى. وقد ألف الطبيب الشهير ابن الخطيب من غرناطة (١٣١٣ - ١٣٧٤) كتاباً نفيساً عن (الطاعون) وصف فيه الطاعون الذى حل بأوروبا في القرن الرابع عشر وذكر فيه أن وجود العدوى تثبتته التجربة ثم البحث ودليل الحواس ثم الرواية الموثوق بها عن انتقال المرض بالملايس والأوعية والحلى (كالقرط في الأذن) ومن شخص لآخر في المنزل الواحد وبإصابة ميناء سليم بوصول أناس مرضى من أرض موبوءة ١٠٠٠.

وكذلك كتب «ابن خاتمة» (توفى ١٣٦٩) كتاباً عن الطاعون الذى فلك بالمرية في اسبانيا في سنى ١٣٤٨ و ١٣٤٩، وهذا الكتاب يفوق في دقته كل ما كتب في أوروبا عن الطواعين من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر.

ولا يتسع المقام هنا للأسباب في ذكر سائر التواريخ من أطباء العرب في ذلك العصر. وإنما تنوه بأنه كان من أهم عوامل بث العلوم الطبية العربية ونشرها في أوروبا إنشاء مدارس الترجمة التى كانت أهمها مدرسة طليطلة التى شيدها في سنة ١١٣٠ الأسقف ريموند وازدهرت حتى القرن الثالث عشر.

وكانت جامعات العرب في اسبانيا إذ ذاك قبله أنظار طلاب العلم من كافة أنحاء أوروبا فكانوا يفدون إليها من كل حذب وصوب لينكبوا على دراسة العلوم العربية وترجمتها ثم نقلها إلى بلادهم فظل النفوذ العربى سائداً في الغرب قروناً عديدة وظلت تأليف الأطباء العرب مدة خمسمائة سنة برنامجاً لدراسة الطب في أوروبا. وما يدلك على مدى سريان النفوذ العربى وهيمته على النهضة الطبية في أوروبا أن الطبيب الشهير بطرس ألفونسو (ولد سنة ١٠٦٢) بعد أن أتمن الطب في مدارس العرب في اسبانيا قدم إلى إنجلترا ليكون طبيباً خاصاً للملك هنرى الأول واشترك مع (الحز وبراير أوف ما لفرن) في وضع كتاب في الفلك اعتمد فيه على المصادر

الفداء

للاستاذ أجد الطرابلسي

« فلما بلغ منه السي قل يا بني إني أرى في المنام آيا أذبحك
فانظر ماذا ترى ، قل يا أبت أفعل ما تومر مستجدي إن شاء الله
من الصابرين . فلما أسلما وتله العيمين . وناديتهم أن يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا هو البلاء
المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام
على إبراهيم » قرآن كريم

شع من بَسَمَةِ الصَّباحِ الضَّياءِ وأفاقت من نومها البطحاء
وتعرت كُثبانها والرَّوابي وثغطت هضابها السَّماء
وبدأت دُكًا ، فانتفض الرِّمَّة لُ ابتهاجًا لما تبدت دُكًا
وشَّت الأرض بالظلالِ فنونا هي للطَّرْفِ والنهْيِ إغواء
فمن الشمسِ والرمالِ نُصارٍ ومن الظلِّ واحةً غناء
السُّهوبُ الفِصاحُ ، والأفقُ الزَّا هي ، وتلكَ الفانمُ الشَّرقاء
والخُضْمُ المَواجِ بالماسِ والتب ر المصنَى والقبةُ الزرقاء
والبطاحُ الغَرَقي ، وسِلْسِلَةُ الكُنَّة بان ، والرَّمْلُ ، والحصى ، والسَّناء
صورةٌ تغمُرُ العيونَ وسِجَرٌ عبقريٌّ ، ومُتعةٌ ، ورُواء
وَحْشةٌ ملؤها الجبالُ وصمتٌ خاشعٌ لاتشِينُهُ ضَوْضاء
أيها الشاعرُ أتشدُّ ! هل تؤدي ما يؤدِّي الطبيعة الخرساء ؟
إن صت الرَّمالُ عودٌ ومِزما ر ونأى ومِزهرٌ وحُداء
نغمٌ يقيمُ الماسِعَ سِجَرًا ، وغناء ، هيباتٍ منه الغناء !

مَنْ هُوَ السَّالِكُ القَفَّارَ وَبِدَاً لِلأُنسِ في جبينه سِباء ؟
كاسفَ البالِ ليس يَبْهَرُهُ الحُسْنُ ، ولا يَسْتَبِيهِ ذاكَ البهاء
مطرقاً رأسه الصديقَ تبدى في أساريرِ وجهه البأساء
وإلى جنبه ابنه جائرُ اللَّبِّ م تنزى في صدره الأهواء
يتأمَّى خطي أيبه وليلحم لان بالشاقِ أسوةً واعتداء
يسألُ الرَّمْلَ عن وجوم أيبه فاذا الرَّمْلُ منصتٌ والفضاء

أوف إنجلترا ، (عاش حوالي ١١٤٣) وهو أول من ترجم القرآن
ثم دانييل مورلي (١١٧٠)

وكان أرنولد دي فيلا نوكا (١٢٣٥ - ١٣١٣) آخر العلماء
الاسبان الذين كان لهم نصيب وافر من ترجمة مؤلفات العرب الطبية
إلى لغات الغرب ، وقد صار فيها بعد طبيباً خاصاً لبطرس الثالث ملك
أرغون ، ودرس الطب في جامعة مونيخية ونقل عن العرب استعمال
الصبغات في الأدوية ، وأدخلها في دساتير الأدوية الأوروبية ، كما أنه
ترجم كتاب ابن سينا عن القلب

وقد أنار العرب لأوروبا سبيل الدراسة المبينة على التجربة والمشاهدة
ويقول مؤرخ مونيخية الشهير جرمان (الفرنسي) إن بقاء مؤلفات
الأطباء العرب في برنامج الدراسة الطبية في مونيخية حتى ختام القرن
السادس عشر خير شاهد على صفات الايضاح والتتوير وعلى الطريقة
التعليمية التهذيبية التي امتاز بها الكتاب العليون في الأمة العربية ،
وتوجد في سجلات كلية الطب بباريس قائمة جرد للكتب الطبية
بها في سنة ١٣٩٥ تحتوي على اثني عشر مجلداً كلها مؤلفات لأطباء العرب .
وكان لويس الحادي عشر دأبهم القاق على صحته ولهذا كان حريصاً على
أن تكون في مكتبته كتب الرازي ، الطبيب العربي الأشهر ولم يكن
منها إذ ذاك في مكتبة مدرسة الطب بباريس سوى نسخة واحدة
فاستعارها الملك بشرط أن يردها وقد فعل !

وأرى في ختام هذا البحث أن أذكر كلمة المؤرخ « لبري » : « ولولم
يظهر العرب في التاريخ لتأخرت نهضة العلوم والفنون (الريسانس)
في أوروبا قروناً عديدة » .

(خيف) زكي على

في أصول الأدب

للاستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية
طريقة في الأدب العرب وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ
العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب ، أثر الحضارة العربية
في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث
كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . وقواعد تفصيلية للرواية
التفيلية الخ الخ .

يطلب من ادارة مجلة الرسالة وثمنه ١٢